

شرح كتاب (الرد على الجهمية) لعثمان بن سعيد الدارمي - رحمه الله.

شرح فضيلة الشيخ

أ.د. أحمد بن عبدالرحمن القاضي

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس (٢٨)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[والحجج عليهم من رد ما أتوا به ما ذكرنا من كتاب الله وروينا من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن بعده.

ثم عليهم حجج كثيرة من الكلام والنظر، لا نحب ذكر كثير منها، تخوفاً أن لا تحملها قلوب ضعفاء الناس، ولكن يكفي من نظر فيما ذكرنا من كتاب الله عز وجل، وروينا من هذه الآثار أن يعلم أن مخالفة هؤلاء للأمة قديماً وحديثاً، فيقول لهم: وجدنا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والأمة بعده سموه كلام الله، وزعمتم أنتم أنه خلق الله؟ فكفى بهذا مخالفة لله، ولرسوله، وللأمة من بعده، أو أتوا فيه بكتاب ناطق، أو أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أحد من أهل العلم أنه مخلوق، ولن تأتوا به أبداً، وكيف تأثرون الكفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأهل الإسلام بعدهم؟.

فذهب بعضهم يحتج بتفاسير مقلوبة، وبمعان لا أصل لها من كتاب ولا سنة، ولا إجماع إلا الكفر يقيناً. قلت لبعضهم: دعوا هذه الأغلوطات التي نحن بها أعلم منكم، ولن يترككم الله من كتابه بالمتزلة التي يُعتمد فيها على تفسيركم، أو يقبل فيها شيء من آرائكم، وقد أتيناكم به منصوصاً عن الله وعن رسوله وعن الأمة بأجمعها أنه كلام الله حقاً، فهاتوا عن أحد منهم منصوصاً أنه خلق الله كما ادعيتهم، وإلا فأنتم المفارقون لجماعة المسلمين قديماً وحديثاً، الملحدون في آيات الله، المفترون على الله وعلى كتابه ورسوله، ولن تأتوا عن أحد منهم].

نعم، هذا المعنى أو هذا المسلك من الحجاج استعمله المؤلف في أكثر من موضع، وهو أنه يلزمهم بالإتيان بشيء يأترونه، فيقول لهم: ها نحن قد أتينا بما يدل على الحق الذي اعتقدناه مروياً مسنداً إما من ناطق الكتاب أو من أحاديث السنة، وقد زعمتم أنتم معاني مقلوبة، وكلاماً محدثاً مخترعاً، فهاتوا دليلاً واحداً أثراً تأترونه عن سلف، فأنى لهم؟ لا يأتوا بشيء من ذلك، فهذا دليل بطلانهم وخذلانهم. نعم.

[أرأيتم قولكم: إنه مخلوق، فما بدء خلقه؟ أقل الله له: كن، فكان كلاماً قائماً بنفسه بلا متكلم به؟ فقد علم الناس إلا من شاء الله منهم أن الله عز وجل لم يخلق كلاماً يُرى ويُسمع بلا متكلم به، فلا بد من أن تقولوا في دعواكم: الله المتكلم بالقرآن، فأضفتموه إلى الله، فهذا أجور الجور وأكذب الكذب، أن تضيفوا كلام المخلوق إلى الخالق، ولو لم يكن كفوفاً كان كذباً لا شك فيه، فكيف وهو كفر لا شك فيه؟ لا يحق لمخلوق يؤمن بالله واليوم الآخر أن يدعي الربوبية ويدعو الخلق إلى عبادته، فيقول: ((إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي)) [طه: ١٤]، و ((إِنِّي أَنَا رَبُّكَ)) [طه: ١٢]، ((وَأَنَا اخْتَرْتُكَ)) [طه: ١٣]، ((وَاصْطَلَعْتُكَ لِنَفْسِي (٤١) اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي)) [طه: ٤١، ٤٢]، ((إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى)) [طه: ٤٦]، ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)) [الذاريات: ٥٦]، ((أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)) [يس: ٦٠، ٦١].

قد علم الخلق إلا من أضله الله أنه لا حق لأحد أن يقول هذا وما أشبهه غير الخالق، بل القائل به، والداعي إلى عبادته غير الله كافر كفرعون الذي قال: ((أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى)) [النازعات: ٢٤]، والحجيب له والمؤمن بدعواه أكفر وأكذب.]

إي والله، هذا كلام السلف جميعاً ليس كلام الدارمي، الإمام مالك رحمه الله لما قال له رجل: أرأيت من قال: القرآن مخلوق؟ قال: زنديق، اقتلوه، هكذا قال، فكان السلف على وضوح من أمرهم وبينه، أن مدعي وصف القرآن بأنه مخلوق طاعن في جناب الرب سبحانه وتعالى وأن هذ من موجبات الكفر الذي يستوجب القتل لصاحبه، بل إن قائل هذه المقالة و... فيها هو الوليد بن المغيرة، فإن الله سبحانه وتعالى قد وصف حاله، قال: ((تُمْ نَظَرَ (٢١) تُمْ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) تُمْ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلًا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (٢٤) إِنَّ هَذَا إِلًا قَوْلُ الْبَشَرِ)) [المدثر: ٢١ - ٢٥]، فوصفه بأنه مخلوق، وهؤلاء شابهوه في ذلك حينما وصفوا القرآن بأنه مخلوق، فهو إمامهم في هذا الباب. نعم.

[وإن قلت: إنه تكلم به عن مخلوق، فأضفناه إلى الله.]

وإن قلت.

[وإن قلت: إنه تكلم به مخلوق، فأضفناه إلى الله].

هكذا العبارة، النسخ متماثلة؟ وإن قلت، طيب. وإن قلت إنه تكلم به مخلوق فأضفناه إلى الله. هاه. [لأن الخلق كلهم بصفاتهم وكلامهم لله، فهذا المحال الذي ليس وراءه محال، فضلاً عن أن يكون كفراً، لأن الله عز وجل لم ينسب شيئاً من الكلام كله إلى نفسه أنه كلامه غير القرآن وما أنزل على رسوله، فإنه قد تم كلامكم ولزمتوه لزمكم أن تسمعوا الشعر].
أن تسموا الشعر.

[أن تسموا الشعر وجميع الغناء، والنوح وكلام السباع والطيور والبهائم كلام الله].

إي نعم، وهذا مما التزمه والعياذ بالله أصحاب وحدة الوجود، الزنادقة، الذين لا يشك أحد في كفرهم، زنادقة الصوفية أصحاب وحدة الوجود، كابن عربي، التزموا بهذا، وقالوا:
وكل كلام في الوجود كلامه
سواء علينا نشره ونظامه
ولا يختلف المسلمون في كفر هؤلاء. نعم.

[فإنه قد تم كلامكم ولزمتوه لزمكم أن تسموا الشعر وجميع الغناء والنوح وكلام السباع والطيور والبهائم كلام الله، فهذا مما لا يختلف المصلون في بطوله واستحالته، فما فضل القرآن إذاً عندكم على الغناء والنوح والشعر، إذ كان كله في دعواكم كلام الله؟ فكيف خص القرآن بأنه كلام الله ونُسب كل كلام سواه إلى قائله؟ فكفى بقوم ضلالاً أن يدعوا قولاً لا يشك الموحدون في بطوله واستحالته].

نعم، لأنه إن قالوا إنه كلام مخلوق وأضافه الله إليه لزمته هذه اللوازم. نعم.

[وما يزيد دعواكم تكديباً واستحالة، ويزيد المؤمنين بكلام الله إيماناً وتصديقاً، أن الله عز وجل قد ميز بين من كلم من رسوله في الدنيا وبين من لم يكلم، ومن يكلم من خلقه في الآخرة، ومن لا يكلم، فقال: ((تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ)) [البقرة: ٢٥٣]، فميز بين من اختصه بكلامه وبين من لم يكلمه، ثم سمى من كلم الله موسى فقال: ((وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)) [النساء: ١٦٤]، فلو لم يكلمه بنفسه إلا على تأويل ما ادعيتهم، فما فضل من ذكر الله من تكليمه إياه على غيره ممن لم يكلمه؟ إذ كل الرسل في تكليم الله إياهم مثل موسى، وكل عندكم لم يسمع كلام الله، فهذا محال من الحجج، فضلاً عن أن يكون رداً لكلام الله وتكديباً لكتابه، ولم يقل: ((مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ)) [البقرة: ٢٥٣] إلا وأن حالتيهما مختلفتان في تكليم الله إياهم. فمما يزيد ذلك تحقيقاً قوله: ((أُولَئِكَ لَا

خَلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ)) [آل عمران: ٧٧]، يعني يوم القيامة، ففي هذا بيان بين أنه لا يعاقب قوماً يوم القيامة بصرف كلامه عنهم إلا وأنه مثيب بتكليمه قوماً آخرين.

ثم قد ميز رسول الله صلى الله عليه وسلم بين من يكلمه الله يوم القيامة وبين من لا يكلمه، فمن ذلك ما روينا في هذا الباب عن عدي بن حاتم، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة }، والحديث الآخر ما روينا عن أبي ذر رضي الله عنه قال: { ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة }، ففي هذين الحديثين أيضاً بيان بين على نفس كلام الله عز وجل أنه يكلم أقواماً ولا يكلم آخرين، ولو كان كما ادعيتم كان المثاب بكلام الله والمعاقب به المصروف عنه سواء عندكم. ألا ترى أن أبا ذر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آدم صلوات الله عليه: أنبيأ كان؟ قال: { نعم مُكَلِّمًا }، فهذا ينبئك أنه أراد نفس كلام الله، لا كلام من سواه، ولو كان مكلماً بكلام المخلوقين في دعواكم لم يكن فيه كبير فضيلة لآدم على غيره من الخلق، لأن عامة الخلق يكلم بعضهم بعضاً، فهم مُكَلِّمُونَ، فما فضل آدم في هذا عندكم على من سواه من ذريته؟ وقد قال تبارك وتعالى: ((فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)) [البقرة: ٣٧].

صدق رحمه الله، قد ميز الله تعالى بين أنبيائه، وميز أيضاً بين الناس يوم القيامة، فميز بين أنبيائه بطرائق الكلام، وذلك أن الله تعالى قال: ((وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِيَاذِنِهِ مَا يَشَاءُ)) [الشورى: ٥١]، فهذه طرائق تكليم الله تعالى لأنبيائه، إما وحي، وهو ما يعتري النبي حال تنزل الوحي مما وصفه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه يعتريه مثل دوي النحل، ومثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليه، حتى إنه ليتفصد في اليوم الشديد البرودة يفصد عرقاً ويثقل صلى الله عليه وسلم حتى يُسر عنه، يسمع جالسوه دويًا كدوي النحل أو ما يشبه صلصلة الجرس، حال تنزل الوحي عليه صلى الله عليه وسلم، هذا حال.

الحال الثانية من وراء حجاب، وهو أن يكلم الله بعض خلقه من أنبيائه أو ملائكته من وراء حجاب، وهذا قد جرى لموسى عليه السلام، فإنه كلمه ربه لكن دون أن يراه، وربما أيضاً دخل في هذا نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج.

وأما ... الثالث فهو أن يرسل رسولاً، وقد وقع هذا لكثير من أنبياء الله، ومنهم نبينا صلى الله عليه وسلم، أن يبعث بالملك إما على صفته فيراه دون سائر الناس، أو على صفة الآدميين كما كان جبريل عليه السلام،

يأتي النبي صلى الله عليه وسلم على صورة دحية الكلبي، فيكلم النبي صلى الله عليه وسلم في الأمر، فهذه طرائق تكليم الله تعالى لأبيائه.

وأيضاً أخبر الله تعالى بأن من عباده من لا يكلمهم يوم القيامة، فدل ذلك على أن منهم من يُكلم ومنهم من لا يكلم، فلو كان كما زُعم أن الكلام المضاف إلى الله كلام مخلوق، لكان الأمر ولما صار لبعض الناس مزية على بعض، ولا لبعض الأنبياء مزية على بعض ما دام مخلوقاً، إنما حصل التمييز وحصل الفضل والمنقبة لكونه كلام حقيقي، كلام لله تعالى خرج منه. ثم بعد ذلك انتقل إلى مسألة الاحتجاج للقرآن أنه غير مخلوق. نعم.

[باب الاحتجاج للقرآن أنه غير مخلوق.]

قال أبو سعيد رحمه الله: فمن ذلك ما أخبر الله تعالى في كتابه عن زعيم هؤلاء الأكبر، وإمامهم الأكبر، الذي ادعى أولاً أنه مخلوق، وهو الوحيد، واسمه الوليد بن المغيرة، فأخبر الله عن الكافر دعواه فيه، ثم أنكر عليه دعواه وردها عليه، ووعدته النار أن ادعى أن قول الله قول البشر.

وقوله: ((إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ)) [المدر: ٢٥]، وقول هؤلاء الجهمية: هو مخلوق، واحد لا فرق بينهما، فبئس التابع وبئس المتبوع، قال الله تعالى: ((ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا)) [المدر: ١١] إلى قوله: ((ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصَلِّيهِ سَقَرَ)) [المدر: ٢٢ - ٢٦]، يعني أنه ليس بقول البشر كما ادعى الوليد، ولكنه قول الله عز وجل.

فحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا ابن نمير، قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم المهاجر، قال: سمعت أبي يذكر عن مجاهد في قوله: ((ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا)) [المدر: ١١ - ١٣] قال: ذلك الوليد بن المغيرة المخزومي، والمال الممدود: ألف دينار، والبنين الشهود: عشرة بنين، قال: فلم يزل النقصان في ماله وولده حين تكلم بما تكلم حتى مات.

قال أبو سعيد: وكذلك صار لأتباعه الذين تلقفوا منه هذه الكلمة خزي وتباب في كل شيء من أمرهم. ومما يُحتج به أيضاً عليهم من كتاب الله عز وجل قول الله عز وجل: ((قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)) [الإسراء: ٨٨]، وقوله: ((وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

(٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا)) [البقرة: ٢٣، ٢٤] تثبيتاً أنهم لا يفعلونه أبداً، وقوله: ((فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)) [هود: ١٣].

ففي هذا بيان بين أن القرآن خرج من الخالق لا من المخلوقين، وأنه كلام الخالق لا كلام المخلوقين، ولو كان كلام المخلوقين ومنهم لقدر المخلوق الآخر أن يأتي بمثله أو بأحسن منه؛ لأنه لم يتكلم مخلوق بحق وباطل من الشعر أو الخطب أو المواعظ أو من كلام الحكمة أو غير ذلك إلا وقد أتى بمثله أو بأحسن منه نظراً من هم في عصره أو من بعده].

ولذلك فإن المعتزلة جعلوا هذا الإعجاز ليس راجعاً إلى ذات القرآن، وإنما جعلوه إلى ما يسمونه مسألة الصرفة، يقولون: إن قول الله تعالى: ((فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ)) [هود: ١٣]، ((فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ)) [البقرة: ٢٣]، لا لأنه لا يمكن الإتيان بمثله، ولكن لأن الله تعالى يصرفهم عن ذلك فلا يتمكنوا، وهذا والعياذ بالله ظلمات بعضها فوق البعض، شبهات يمسك بعضها برقاب بعض، يعني لما أنهم نزعوا عن القرآن هذه القدسية، وهو أنه كلام الله عز وجل الذي تكلم به حقيقة وجعلوه مخلوقاً، أدى بهم ذلك إلى أن يقولوا: إن التحدي الذي وقع ليس راجعاً إلى ذات القرآن، وإنما لصرف الله تعالى إياهم عن ذلك فلا يستطيعون، وهذا في الحقيقة فيه تنقص للقرآن العظيم، وتصوير للمسألة على أنه نوع من الأمر القهري القدري الذي لا يستطيعون أن يأتوا به، وإلا فليس الأمر متعلقاً في زعمهم بالقرآن، هذه مسألة الصرفة التي أنكروها عليهم السلف. نعم.

[فهذا قد ثبت الله عليه الشهادة أنه لا يأتي بمثله جن ولا إنس؛ لأنه منه، وصدق الله وبلغ رسوله، لم يأتوا بمثله منذ مائتي وخمسين سنة، ولا يأتون بمثله إلى خمسين ألف سنة، فكيف يفعلونه وقد قال الله عز وجل: ((وَلَنْ تَفْعَلُوا)) [البقرة: ٢٤]، و ((لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)) [الإسراء: ٨٨]، ففي هذا بيان بين أنه كلام الخالق نفسه، وأنه غير مخلوق.

ومما نحتاج به عليهم أنه غير مخلوق من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: { فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه }.

حدثنا به شهاب بن عباد العبدي الكوفي، قال: حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني، عن عمرو بن قيس، عن عطية، عن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { من شغله قراءة القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه }.

إيه، قد أشار إلى ضعفه فيما تقدم. نعم.

[حدثنا عقبة بن مُكرّم البصري، قال: حدثنا معلى بن أسد، قال: حدثنا محمد بن سواء، قال: حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن أشعث الحداني، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الرحمن على سائر خلقه }.

وحدثني محمد بن حميد الرازي، قال: حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي، قال: حدثنا الجراح بن الضحاك الكندي، عن علقمة بن مرثد، عن أبي عبد الرحمن، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه }، قال أبو عبد الرحمن: فهذا الذي أجلسني هذا المجلس، { وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الخالق على المخلوق، وذلك أنه منه }.

قال أبو سعيد: ففي هذه الأحاديث بيان أن القرآن غير مخلوق، لأنه ليس شيء من المخلوقين من التفاوت في فضل ما بينهما كما بين الله وبين خلقه في الفضل، لأن فضل ما بين المخلوقين يستدرك، ولا يستدرك فضل الله على خلقه، ولا يحصيه أحد، وكذلك فضل كلامه على كلام المخلوقين، ولو كان كلاماً مخلوقاً لم يكن فضل ما بينه وبين سائر الكلام كفضل الله على خلقه، ولا كعشر عشر جزء من ألف ألف جزء، ولا قريباً ولا قريباً، فافهموه، فإنه ليس كمثله شيء، فليس ككلامه كلام، ولن يؤتى بمثله أبداً.

حدثنا سعيد بن أبي مريم المصري، قال: حدثنا ابن لهيعة، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن ثابت بن عبد الله، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: { لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل، له دوي كدوي النحل، يقول: يا رب منك خرجت وإليك أعود، أتلى ولا يُعمل بي، أتلى ولا يعمل بي }.

نعم، ذكر أنه ضعيف. نعم.

[سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، يقول: قال سفيان بن عيينة: قال عمرو بن دينار: أدركت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فمن دونهم منذ سبعين سنة يقولون: الله الخالق وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله، منه خرج، وإليه يعود].

نعم، هذا حكاية إجماع من عمرو بن دينار رحمه الله، لقوله: أدركت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فمن دونهم، يعني التابعين، منذ سبعين سنة، يقولون: الله الخالق وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله، منه خرج وإليه يعود.

فائدة ذكره الجملتين الأوليين الله الخالق وما سواه مخلوق والقرآن كلام الله، إذ ما دام كلامه فليس بمخلوق، إذ ليس ثم إلا خالق ومخلوق، فالله الخالق وما سواه مخلوق، والقرآن كلامه، فلا يجوز أن يقال مخلوق. منه خرج لأن الله تعالى تكلم به ابتداءً، وإليه يعود كما ذكرنا آنفاً أن معنى إليه يعود إما يعني يُنسب كما يقال هذا الكتاب يعود إلى فلان، أو هذا البيت يعود إلى فلان، فيكون بمعنى النسبة، فلا شك أنه كلام الله يُضاف إليه ويُنسب إليه، وإما أن معنى يعود ما ورد في الآثار أنه يُسرى به في آخر الزمان بعد أن يُهجر العمل به. فهذا حكاية إجماع بحمد الله تُضاف إلى دلالة الكتاب والسنة، وهو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه أهل السنة في إثبات العقائد والأحكام، الكتاب والسنة والإجماع. نعم.

[حدثنا علي بن المديني، حدثنا موسى بن داود، قال: حدثنا معبد، قال: قال علي وهو ابن راشد، عن معاوية بن عمار، قال: قيل لجعفر بن محمد: القرآن خالق أو مخلوق؟ قال: ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله.]

نعم، هذا جعفر الصادق رحمه الله، ومع ذلك فإن المنتسبون إليه من الروافض على خلاف مقالته هذه، فإنهم على مذهب المعتزلة، وها هو رحمه الله يثبت ما أثبتته السلف أن القرآن كلام الله، بل ما أثبتته الله عز وجل. نعم.

[حدثنا محمد بن منصور الذي يقال له الطوسي من أهل بغداد وكان ثقة قال: حدثني علي بن مضاء مولى خالد القسري قال: سمعت ابن المبارك بالمصيصة.]

بالمصيصة.

[بالمصيصة وسأله رجال عن القرآن، فقال: هو كلام الله غير مخلوق.]

وحدثنا محمد بن منصور، قال: حدثني علي بن المضاء، قال: سمعت بقية بن الوليد، يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق.

وحدثنا محمد بن منصور، حدثنا علي بن المضاء، قال: سمعت عيسى بن يونس يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق.

حدثنا محمد بن منصور، حدثنا علي، قال: سمعت القاسم الجزري يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق.

حدثنا محمد بن منصور، حدثنا علي بن المضاء، حدثنا هشام بن بهرام، قال: سمعت المعافى بن عمران يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق.

قال هشام: وأنا أقول كما قال المعافى. قال علي: وأنا أقول كما قال هشام، قال محمد بن منصور: وأنا أقول كما قالوا خمسين مرة [.

ونحن نقول كما قالوا رحمهم الله. نعم.

[قال أبو سعيد: وأنا أقول كما قالوا سبعين مرة. قال القرشي: وأنا أقول كما قالوا. قال الأزدي: وأنا أقول كما قالوا عدد أيام الدهر من أوله إلى آخره، وبه ألقى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم. قال أبو روح: وأنا أقول بعدد من يبصر ومن لا يبصر. وقال شيخنا أبو عبد الله: وأنا أقول بعدد جميع الخلائق [.

ما شاء الله، هذا ما يسمى بالتسلسل، وهو يكون التسلسل في الحديث، ويكون فيما دون ذلك، وهو أن يتواتر الرواة على لفظة واحدة، وقد يكون التسلسل بالفعل وقد يكون التسلسل بالقول، والمسلسل معروف في أنواع علوم الحديث يسمى حديث مسلسل، فقد يكون مسلسلاً بالقول وقد يكون مسلسلاً بالفعل.